

الخطبة الثانية

آداب المسجد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَحْمَنَ رَحِيمٌ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَعِفُ عَنْهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ..

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا أَللَّهُ حَقٌّ تَقَالُوا وَلَا يَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَقْسٍ وَجَهَةٍ وَظَاهَرَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُولُوا أَللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلَ عَنْ بِهِ وَالْأَرْجَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رِقَبًا﴾ [النساء: 14]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا أَللَّهُ وَقُولُوا قُولًا سَدِيدًا ﴾ ٧٠ ﴿يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَرْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدِيَّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بُدْعَةٌ، وَكُلَّ بُدْعَةٍ ضَلَالٌ، وَكُلَّ ضَلَالٍ فِي النَّارِ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلًا كلما غدا أو راح» متفق عليه، وعنده قال ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله... ورجل قلبه معلق بالمساجد» متفق عليه.

وقال ﷺ: «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله تعالى، وحق على المزور أن يكرم زائره» حسنة الطبراني.

1 - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا زَيْنَتُكُمْ عِنْدَكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَأَشْرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]، روى البخاري (877) - ومسلم (252) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسوالع عند كل صلاة»، فهذا الذي يأتي وقد أكل ثوماً أو بصلًا، أو هذا الذي يأتي ورائحة الدخان تفوح منه فقد خالف قول النبي ﷺ.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال ﷺ: «من أكل البصل، والثوم، والكراث، فلا يقرب مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» البخاري (855) - مسلم (564).

2 - ثم إن هذا الذي يأتي بشوب البيت أو ثوب النوم وقد تكون لها رائحة خاصة، فهل هذا من الأدب مع الله تعالى، ولو أنك تري زيارتك لبيت الله لتجملت ولبس أحسن من هذا، فما بالك بزيارتكم لبيت الله تعالى، أما كان أجدر أن تتجمل لبيت الله؟

عن يحيى بن حبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على أحدكم إن وَجَدَ أَنْ يَتَخَذْ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجَمْعَةِ سَوْيَ ثَوْبِيْ مَهْنَتِهِ» صحيح سنن أبي داود (953).

3 - ثم عليه أن ينظف نفسه أو أن يستحم لقول أوس الثقفي ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكراً وابتكر ومشى ولم يركب ودنى من الإمام فاستمع ولم يبلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» صحيح أبي داود (333).

لهذا الذي يأتي ورائحة ثيابه، رائحة طبيخ أو رائحة كريهة، وشعره منفوش وقد قام من فراشه لتوه وركض إلى المسجد ولم يُحضر نفسه جسدياً ونفسياً، هل يستوي ومن اغتسل وبكراً ودنى من الإمام واستمع ولم يبلغ - لم يلعب بتلفونه -، ولم يشتغل بالتكلم مع الناس ومجادلتهم، ولم يتخطى رقاب الناس، أيكون له عمل سنة أجر صيامها وقيامها؟

٤ - فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة، وكان يحضر الصلوات الخمس مع رسول الله ﷺ فتو جعنا له وقلنا له: لو اشتريت حماراً، فقال: والله ما أحب أن يبتي بجانب بيتي النبي ﷺ، فقال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: فدعاه رسول الله ﷺ فقال الرجل: إني أرجو الأجر في الآخر، أي: يرجو ثواب ممшаه إلى بيتي الله فقال له النبي ﷺ: «إن لك ما احتسبت»، وفي رواية قال ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله» مسلم (٦٦٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الاً أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط» مسلم (٢٥١)، ثم قوله ﷺ: «بكر وابتكر» أي: أتى المسجد مبكراً وجاهد نفسه على ذلك، وذلك دليل المحبة ودليل التصديق ودليل الطمع في الأجر والثواب، ودخل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المسجد فوجد ثلاثة قبله، فلام نفسه وقال: رابع أربعة يا عبد الله؟! وقد جاء في البخاري (٦١٥) - ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يَسْتَهْمُوا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوه إليه»، (يسْتَهْمُوا عليه) أي: يضرموا القرعه أي الاقتراع ... (التهجير): التبكيـر إلى الصلاة، وخاصـًّ هذا بعض العلماء بيوم الجمعة أن يأتي باكراً. وفي رواية لمسلم قوله ﷺ: «ولو عـلمـونـ ماـ فيـ العـتمـةـ وـ الصـبـحـ لـأـتـهـمـواـ وـلـوـ حـبـواـ» مسلم (٤٣٧). (حبواً) أي: زحفـاـ على الركب والأكواب.

٥ - ثم السير والمشي إلى الصلاة بخشوع وسکينة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوـاـ إلى الصلاة وعليكم السکينة والوقار، ولا تسرعواـ، فـماـ أـدـرـكـتـمـ فـصـلـوـاـ، وـمـاـ فـاتـكـمـ فـأـتـمـواـ» البخاري (٦٣٦) - مسلم (٦٠٢).

فهنا حث النبي ﷺ على الهدوء والوقار والسكينة، وقد بشرك: ما أدركت فصلٌ وما فاتك فأتم، وذلك لأن الله تعالى أعلم بنائك وقصدك فعله، وأن الله تعالى يجزيك على ما نويت خيراً، ثم إليك يا أخي هذا الحديث الجميل الرائع، الذي يمثل رحمة الله العظيمة ولطفه الكريم وكرمه الذي لا حدود له، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح - إلى المسجد - فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاتها أو حضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً» أحمد - أبو داود - ك - البهقي.

لكن هذا لا يعني أن نتهاون في الحرص على الجماعة، وهذا يعني أنني لما أتيت المسجد ورأيتهم قد صلوا أنا أرجع إلى البيت؟ كلا بل علي أن أقيم الصلاة وأصلي في المسجد، ثم إن هناك نقطة مهمة يجب التنبيه إليها وهي: أن البعض عندما يسرع إلى الصلاة ويجد الإمام في الركوع يقول: الله أكبر ويركع...

وهنا مشكلة! لأنه يجب أن يكون هناك (الله أكبر) وهي تكبيرة الإحرام مع الطمأنينة، ثم الله أكبر للركوع، فإذا أتيت بتكبيرة واحدة، بعض العلماء جعلها تكبيرة الركوع، وبذلك تكون قد تركت ركناً من أركان الصلاة وهي تكبيرة الإحرام! والبعض جعلها تكبيرة الإحرام، وقد تركت تكبيرة الركوع فتكون قد تركت واجباً! وتركت الطمأنينة، وخالفت الأمر في قوله ﷺ: «وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا» كما مر في حديث البخاري ومسلم.

6 - ثم إن هناك أدعية عظيمة يقولها من يأتي إلى المسجد، ومثال ذلك لما بات ابن عباس رضي الله عنه عند خالته ميمونة رضي الله عنها فقال: فأذن المؤذن (للصبح) فخرج النبي ﷺ إلى الصلاة وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقني نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً» مسلم (763)، فسأل النبي ﷺ النور

من الله تعالى في أعضائه وجهاته، وقد أوّل بعض أهل العلم هذا النور بالقبول من الله تعالى والرضا، وقال بعضهم سأله النبي ﷺ النور من الله تعالى لأن هذا النور هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشِّرَنَّكُمْ الْيَوْمَ جَئَتُمْ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢ / ٥٧].

وعن أبي بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «شرروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيمة» د - ت، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزَى اللَّهُ أَلَيْهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٦٦ / ٨].

ثم يقول عندما يخرج من منزله كما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول: «بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي» د - ت - ن - جه.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت وهديت ووقيت وتنحي عنه الشيطان، ويقول الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي، وكفي، ووقي» د - ت - ن.

٧ - ثم إذا دخل المسجد يقول كما ورد عن أبي حميد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك» (٧١٣) مسلم.

وروى أبو داود في سنته بإسناد جيد (٤٦٦) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا دخل المسجد: «أعوذ بالله العظيم، ووجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم».

8 - ثم إذا دخل المسجد يصلي ركعتين لحديث أبي قتادة السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين» البخاري (444) - مسلم (714).

وعن بُرِيْدَة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا بَنَيْتُ الْمَسَاجِدَ لِمَا بَنَيْتُ لَهُ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» البخاري (569) - مسلم (285).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِّنْ بَيْتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشَّيْتِهِمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرُهُمُ اللَّهُ فِيمَا عَنْهُ» مسلم.

أما اللغو واللغط، والغيبة والنسمة، والشجار، والجدال، والخوض في صفات الناس وأعراضهم، والتحدث بأمور الدنيا كله من المخالفات، وكما قال: إنما هي للذكر، والصلاحة، وقراءة القرآن.

ويما حبذا لو نُعْلَمَ أولاً دنا ذلك، فهم يأتون للعب والركض والتشويش، والمسجد ليس لهذا فالسكينة والوقار والخشوع في بيت الله تعالى من الأمور الواجبة.

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَدِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُرُ يُسَيِّعُ لَهُ، فِيهَا يَأْلَمُ الْغُدُرُ وَالْأَصَالِ﴾ ٣٦ ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تَحْزَنَةٌ وَلَا يَبْعُدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَا قَارِمٌ الصَّلَاةُ وَلِإِنَاءِ الرِّزْكَوْنَ يَخَافُونَ يَوْمًا لَنَقَبَ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَأَبْصَرُ﴾ [النور: 24 / 36 - 37].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظِمْ شَعَثِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 22 / 32].
والمسجد من أعظم شعائر الله فهي بيوت الله تعالى، وتعظيمها وتنظيفها والعناية بها من أجل الأمور وأعظمها. عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنه» متفق عليه، هذا لما كانت أرض المسجد تراباً فما بالك اليوم والمساجد مفروشة بالسجاد ويمسح الإنسان أنفه ثم يمسح يده بسجاد المسجد، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للأعرابي الذي بالمسجد:

«إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول أو القدر، إنما هي لذكر الله وقراءة القرآن» رواه مسلم.

٩ - والمسجد ليس للبيع والشراء والاشتغال بأمور الدنيا. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار، وأن تُنشَّد فيه الضالة» د - ن - ت - جه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتكم، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا: لا رد الله عليك» رواه الترمذى، وقال إمام التابعين سعيد بن المسيب رضي الله عنه: «من جلس في المسجد فإنما يجالس ربه، فحقه ألا يقول إلا خيراً»، وأقول: لو أنك جلست عند عظيم بماذا تتحدث؟

١٠ - ثم انتشرت عادة رفع الأصوات في المساجد والمجادلات. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقرآن فكشف الستر وقال: «ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة أو قال: في الصلاة» صحيح سنن أبي داود (١/١٤٧) - ن - صحيح المسند لأحمد شاكر رحمه الله (٩٢٨، ٥٣٤٩)، أي حتى لو أن الإنسان يصلى قيام الليل في المسجد فلا يرفع صوته حتى لا يؤذى غيره، فإن كان النهي عن رفع الصوت في قراءة القرآن وفي الصلاة، فكيف يكون في غير ذلك؟ ولا تنسى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَرَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَفْوِيَ الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢/٢٢]، فتعظيمك لشعائر الله دليل تقواك، ومخالفاتك دليل نقصان تقواك.

١١ - ثم إذا سمعت المؤذن فقل مثلما يقول، فعن عبد الله بن عمر ورضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ﷺ إن المؤذنين يفضلوننا؟ فقال ﷺ «قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تعطه» صحيح أبو داود (٤٩٢).

وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين

يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضي بالله ربّاً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه» مسلم (386).

وحدث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىٰ، فإنه من صلى علىٰ صلاة صلى الله عليه بها عشرأً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تُنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِّنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، وَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» مسلم (384)، حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاحة القائمة آتِيَّ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضْيَلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حلت له شفاعتي يوم القيمة» البخاري (614).

12 - ولا يجب تشبيك الأصابع في المسجد، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضاً أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبكن بين أصابعه فإنه في صلاة» صحيح سنن أبي داود (526).

13 - ولا يحق لأحد الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لضرورة قصوى، فلقد رأى أبو هريرة رضي الله عنه رجلاً يخرج بعد الأذان فقال: «أما هذا فقد عصى أبا القاسم» رواه مسلم (655).

14 - والنساء في المسجد لا يتطينن ولا يتبعخترن ولا يرفعن أصواتهن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس انها نساءكم عن لبس الزينة والتبيخ في المسجد، فإن بنى إسرائيل لم يُلْعَنُوا حتى ليس نساوهم الزينة وتبخترن في المساجد» ابن ماجه، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «المسجد بيت كل تقى، وتکفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة» الطبراني والبزار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين